الإعتصام بحبل الله تعالى

عادل عطيف الصلاحي

باحث، كلية ايم اي يس، منباد

الملخص

الحمد لله الذي جعل الأخوة ميزان الإيمان، وجعل الفرقة والاختلاف حراما بين الإخوان، والصلاة والسلام على سيد الأنام ومصباح الظلام محمد وعلى آله وصحبه أهل التقى والغفران. وبعد فمما لاشك فيه أن موضوع الوحدة مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية ومن دواعي الإيمان التي حث عليها القرآن ونبينا عليه الصلاة والسلام، فتعددت آيات الله تعالى في الأمر بالوحدة والتمسك بها.

الكلمات الدالة : الوحدة ، الإسلام، الله

المناقشة

قال تعالي في القرآن الكريم (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[1]. وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية... وهذا السياق في شأن الأوس والخزرج ، فإنه كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية ، وعداوة شديدة وضغائن ، وإحن وذحول طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم ، فلما جاء الله بالإسلام فدخل فيه من دخل منهم ، صاروا إخوانا متحابين بجلال الله ، متواصلين في ذات الله ، متعاونين على البر والتقوى.[2]

الإعتصام هو التمسك، والحبل هو السبب الذي يتوصل به إلى المطلوب. وحبل الله هو القرآن. أمر الله سبحانه وتعالى بهذه الآية الإعتصام بحبل الله مع الجماعة. إن تلك (الجماعة) هي حقاً الجماعة الأم لكل الجماعات التي مثلت الإسلام الصحيح عبر التاريخ الإسلامي، ف (الأم) هنا مرادفة لـ (الأمة) التي جاء القرآن بمدحها، وإعلاء شأنها، في قوله تعالى} :كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ {[آل عمران: 110][3]، وقوله} :وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا {[البقرة: 143][4] . فلايمكن أن تكون هذه الأمة الممدوحة شيئاً آخر غير السواد الأعظم، الذي ينهج منهاج النبوة، على طريق الصحابة.

وقد حذر الله عز وجل هذه الأمة من محنة الفرقة، وبين لهم أن الفرقة هي السبب المباشر في هلاك أمتهم فقال عز وجل: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [5].

وعن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله يرضى لكم ثلاثا ، ويسخط لكم ثلاثا ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويسخط لكم ثلاثا : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال[6].

إن وحدة المسلمين بكل طوائفهم هي الغاية والهدف في هذه المرحلة خاصة، ولذلك فنحن بحاجة ماسة إلى بيان حكم الوحدة بين المسلمين، فواقع المسلمين اليوم، يشهد شهادة لا ريب فيها، أنهم في غفلة تامة عن حكم الوحدة ، فضلاً عن عجزهم عن تطبيقها، أو السعي إليها، والقليل منهم الذي وفقه الله لإدراك أهميتها، فيعمل من أجلها و يجاهد في سبيل تحقيقها .

إخوتي! من أهم الفرائض الواجبة التي يغفل عنها كثير من المسلمين، هي فريضة مغيبة لها أهمية كبرى في حياتهم، لا تقل أهميتها عن الشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، عنيت بها وحدة الأمة، فهي مقصد أصلي وأساسي من مقاصد الدين.

الاتحاد والاجتماع والاتفاق، وعدم التفريق، والتنازع هو فريضة شرعية وضرورة إجتماعية لا تُنكر.

وهذه الفريضة علي وحدة الإعتقاد والإيمان بين جميع المسلمين الذين برب واحد يؤمنون، ولكتاب واحد يقرؤون، ولرسول واحد يتبعون .

فما دام الفكر واحدا، والمرجع واحدا، فينبغي أن يجتمع عليه أهله ويتوحدوا، والعبودية لله يجب أن تجمعنا على صف واحد وتجعلنا أمة واحدة.

إخوة الإسلام!

الوحدة الإسلامية مطمح كل مسلم يطلب وجه الله ورضوانه، و يريد بها خير الأمة الإسلامية، وصلاحها،

الفرقة والاختلاف، العداوة والبغضاء عمل شيطاني، لا يؤدي إلا إهدار الطاقات الفردية و الإجتماعية، بكل أشكالها ومن يثير الفتن خاصة مثل هذه الظروف، من خلال إطلاق النعرات الطائفية، و الهتافات المذهبية، إنما يخدم مصالح اعداء الله، وأعداء الأمة الإسلامية، ويخدم مصلحة المستعمرين -أصحاب المقولة المعروفة "فَرِّق تسُدْ"ومن يدعو إلي الفرقة والطائف، فهو يخالف الله عز وجل مخالفة صريحة واضحة، حيث إن الله تعالي دعا المسلمين في القرآن الكريم إلي التآلف والتآخي والوحدة، وحذرهم من الفرقة و الاختلاف .

وقال الله عز وجل

وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ[7].

وقال تعالي تحذيرا عن الفرقة

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ[8].

وقال النبي صلي الله عليه وسلم تحذيرا عن الفرقة (عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ :وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلاَةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّهَا ضَلاَلَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)[9].

قال القرطبي رحمه الله

فإن الله تعالي يأمر بالالفة وينهي عن الفرقة فإن الفرقة هلكة والجماعة نجاة[10].

فهذه الأدلة تأمر المسلمين بالأخذ بكل ما يزيد المحبة بينهم، والنهي عن كل ما يلد العداوة والبغضاء في صفوفهم، وتأمرهم صراحة بأن يكونوا إخوة، ولا يمكن للمسلمين أن يكونوا إخوة إلا إذا كانوا متحدين،فإن الإخوة ضد

الفرقة و الاختلاف.

اللهم ألّف بين قلوب عبادك ووحّد نفوس المسلمين واجعلهم متّحدين ومتّفقين في جميع الشّئون واحشرهم تحت لواء الوحدة الانسانيّة .

---

1. آل عمران 103
2. تفسيرسورة آل عمران لابن كثير
3. آل عمران: 110
4. البقرة: 143
5. آل عمران 105
6. شرح السنة البغوي
7. المؤمنون - 52
8. الأنفال : 46
9. الترمذي
10. تفسير سورة آل عمران 103 للقرطبي